سينما

«ليلة الملوك» لفيليب لاكوت

أصالة سينمائية تغلّف سياسةً ومتخيّلاً

متأثّراً بـ«ألف ليلة وليلة»، يعاين الإيفواريّ فيليب لاكوت في «ليلة الملوك» أحوال سجناء يجدون في سرد القصص ووفرتها خلاصهم من الموت

فيس قاسم

يستلهم الإيفواري فيليب لاكوت (1969) نصّه السينمائي من حكاية «ألف ليلة وليلة»، مختصراً حكاية «ليلة الملوك» (2021) بيوم واحد فقط، تجري أحداثه في سجن «لا مَاكا»، أكبر سجون ساحل العاج (كوت ديفوار)، في أبيدجان. جوهر فكرة الحكاية الشرقية «القَصّ»، وقدرته العجيبة على تجنيب من يملك موهبة سرده مصيراً تراجيدياً محتوماً. ينبوعه لا ينضب، طالما أنّه قرين مِخيال مُتجدّد وقابل للتطويع، وحكاية السجين رومان (الاسم بالفرنسية يعني رواية، Roman) تكاد تجتمع فيها كلّ ضروب الإبداع السردي. تأطيرها في سياق بصري/ فيلمي يُحيل المكان والأحداث إلى هوامش، وإلى مركز لا صلة له بسينما السجون المعتادة، إلاّ بمقدار ما يقوّي من أنساق وسائل تعابيره السردية المتدفّقة حيوية، والمتساوقة مع خيال سينمائي، يُبَدل شكل السرد البصري التقليدي بآخر متشابك مع أساطير وحكايات مُخترعَة، تقارب واقعاً بائساً، يؤشّر السجن الرهيب، الخارج عن السيطرة، إلى وجوده. مشهد سَوْق الشاب رومان (باكاري كوني) إلى السجن يكفي لاختصار مناخه الداخلي العام. إدارته عاجزة عن السيطرة عليه. تكتفي وظيفياً بمراقبة ما يجري فيه من بعيد، من دون تدخّل مباشر، أو رغبة في تغيير قواعد عيش، وضعها السجناء لأنفسهم، وظلّوا أُمناء لها. سوء حظّه جاء به في اللحظة التي تقرّر فيها وضع حدّ لحياة قائده وزعيمه المهيب، بلاكبيرد (ستيف تيانتْشو)، حامل لقب دانغورو. تقضي التقاليد، عند عجز القائد أو مرضه، بوضع حدّ لحياته، واختيار بديل له. أراد دانغورو إطالة عمره، بتنشيط وسيلة تسلية قديمة للسجناء، تقضي باختيار واحدٍ منهم لسرد حكاية في ليلة «القمر الأحمر»، وفي حالة عدم اكتمالها عند بزوغ الفجر، يُحكم عليه بالموت.

اختيار رومان راوياً للحكاية مُتوقَّع. المُفاجِئ فيها اكتشافه قدرته الذاتية، وموهبته في سردها، والمضي فيها من فصل إلى آخر. الأكثر إدهاشاً، في تجسيدها السينمائيّ، يكمن في مقاربتها فنوناً بصرية أخرى (مسرح، أوبرا، غناء) تتشارك معها، وتُرحَّل فصولاً منها إلى خارج أسوار السجن، بفعل قوّة الكامن فيها من خيال. مسرحة الحكاية تتأتّى من مشاركة السجناء في إعادة تمثيل مقاطع دراماتيكية، ترد في سياق سردها الشفاهي. بالغناء الأوركستراليّ، والأداء الأوبرالي المحلي، يرفعون مستوى التعابير البسيطة للراوي إلى أعلى (موسيقى مذهلة لأوليفييه ألاري). يضيفون إلى أحداثها، من عندهم، تفاصيل مُتخيّلة لديمومة إثارتها. لا يكتفون بسماعها، بل يتفاعلون معها،

> في ثنايا أسطورة زاما كينج يظهر الخراب السياسي العام

وأحياناً يُغيّرون بعض مجرياتها. يلعبون دور الناقد. يواجهون المقطع الضعيف بصيحات استهجان، والجيّد بترحيب، وبمزيدٍ من التشجيع على مواصلة الكلام. الحركة النشيطة، والانفعالات العنيفة على أرض السجن، وزوايا غُرفه الضيقة، تلازمها حركة كاميرا محمولة، لا تكفّ عن الملاحقة. الضوء الداخلي الضعيف، في الأقبية وأوقات الليل، يُضفي على المَشاهد وهجاً خافتاً، يقارب لون القمر الأحمر، المُنذِر بشؤم مُبين. التصوير (توبي ماريه روبيتاي) يعلن ابتهاجاً بتنويعات مَشهدية، تختبر مهارته وقدرته على استيعابها ونقل مناخاتها، بما يتوافق مع كلّ حركة من حركاتها المتفاوتة بحدّة، ومستويات تعبيرها، وشدّة نقل قتامة أجوائها.

من وسط الجموع المهتاجة، تظهر شخصيات تؤثّر على مسار الحكاية، وتدفع راويها إلى المضي في اشتقاق مزيدٍ من القصص الجانبية، المُكمِّلة لها. المنافس على الزعامة، لاس (عبد الكريم كوناتي)، يكرّس نفوذه لامتلاك سلطة أكبر، تماثلها تسقيطاً. في سياق الأحداث، سلطةُ الدولة. لولا تحذير السجين الأبيض الوحيد، سايلنس (دوني لافان)، لرومان، لتعب من الكلام، وتوقّف، ولكان الموت في انتظاره. من دونه، لما لجأ الراوي إلى سرد حكايته الشخصية. وعندما زاد الخطر اقتراباً منه، أضاف إليها قصّة صديقه القديم زاما كنج. ولولا خشيته المتزايدة من احتمال ضجر السجناء من برودة حكايته، وضعف نهايتها، لما راح ينسج إلى جانبها مرويّات أخرى، تتشابك فصولها مع أحداث دموية شهدها البلد (يسمّى أيضاً ساحل العاج)، ودفعته إلى الانضمام إلى عصابات جريمة، بعد تشرّد وضياع.

فيليب لاكوت في «مهرجان فينيسيا 2020»: فنّ السرد السينمائيّ (إليزابيتا فيلاّ/Getty)

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

مهنيّون ومهنيّات يتّهمون الفنّ

مَن المسيء أكثر: الواقع أو الصنيع؟

نديم جرجوره

يتوتّر عاملون وعاملات في مهنٍ مختلفة، في دول عربية عدّة، إزاء تصوير شخصياتٍ سينمائية وتلفزيونية تعمل في المهن نفسها، في أعمال فنية مختلفة. ينزعجون. يُندِّدون بـ«صورةٍ»، يقولون إنّها تُشوِّه مهنتهم، وتُسيء إليهم. لهم نقابات «تدافع» عن توتّرهم، رغم انفضاضها غالباً عن حقوقٍ لهم مهدورة، في الاجتماع والاقتصاد والعيْش. يجدون في أعمالٍ كهذه هدفاً لتنفيس احتقانٍ وغضبٍ يعتملان فيهم تجاه مآزق وتحدّيات، يعجزون عن التغلب عليها. يُدركون أنّ زملاء وزميلات يرتكبون هفواتٍ، وبعض الهفوات يبلغ مرتبة الخطأ، والخطأ قاتلٌ أحياناً؛ لكنّهم يرفضون صورة فنية، غير مُختزلةٍ إياهم جميعاً، بقدر ما تكون نموذجاً واحداً، مأخوذاً من بين مئاتٍ أو آلافٍ. يساهمون في تغطية الهفوات، وفي حجب الأخطاء، وفي إخفاء معالم وآثار تفضح وتُدين وتُحاكِم من أخطأ، ومن ساهم في الخطأ، مباشرة أو مواربة؛ لكنّهم يثورون ضد صورة فنية تندرج في سياق مُتخيّل، وإنْ يُستلّ السياق من واقعٍ وعيشٍ يوميّين.

يحدث هذا في دول عربيّة عدّة. تشتهر القاهرة بمقولةٍ، تتكرّر عند كلّ فعلٍ سينمائيّ أو تلفزيونيّ كهذا: الإساءة إلى سُمعة مصر. تُرفَض أفلامٌ تنتمي إلى «الواقعية الجديدة»، في ثمانينيات القرن الـ20، لانهماك صانعيها في قراءة الواقع وإخفاقاته وانكساراته ومواجع ناسه واهترائه وعفنه. هذا ترفضه مجموعاتٍ، ترى في القراءة السينمائية «إساءة» إلى «سُمعة» بلدٍ. لكنّ المجموعات نفسها تتغاضى عمّا يعتمل في الاجتماع والواقع، وهذا أخطر وأعنف وأكثر إساءة إلى الناس، وحقوقهم وعيشهم. المقولة تحضر بين فينةٍ وأخرى. حالياً، إمساك النظام الحاكم بالإنتاج «يُخفِّف» من تحقيق أعمالٍ «تُسيء» إلى سُمعة مصر، كأنّ لا أحد في مصر يُسيء إليها وإلى ناسها وسُمعتها غير الإنتاج، السينمائي والتلفزيوني.

اختيار شخصية تعمل في المحاماة أو التمريض أو السكك الحديدية، في أعمال درامية معروضة في المغرب خلال رمضان 2021، يُثير غضب عاملين وعاملات في هذه المهن. قيل إنّ هؤلاء يرونها مستفزّة، ويعتبرونها تهجّماً عليهم، لأنّها «تُعمِّم صورة خاطئة عنهم»، كما يقولون. هذا يُذكِّر بـ«نقابة الممرضات والممرضين» في لبنان، المتقدّمة بشكوى لدى النيابة العامة الاستئنافية في بيروت و«المديرية العامة للأمن العام» ضد المخرج اللّبناني سليم الترك و«تي برودكشين» للإنتاج، بـ«تهمة القدح والذمّ»، لأنّ «الفالنتاين الأخير في بيروت» (2012) «يتناول صورة الممرضة بشكلٍ مُسيء». أتذكرون موقف نقابة المحامين في القاهرة إزاء عادل إمام، بسبب «الأفوكاتو» (1983) لرأفت الميهي؟

الإساءة متأتية من عاملين وعاملات في المهن، لا من شخصيات فنية، يستحيل أنْ تختزل الجميع فيها. الشخصية واحدة. موقفها وسلوكها وآراؤها وتصرّفاتها وأهواؤها ورغباتها حكرٌ عليها، وفي الواقع كثيرون وكثيرات يُشبهونها، لكنّها غير مختزلةٍ مهنةً، وعاملين وعاملات فيها. لا مثاليات في الواقع، وبعض الفنّ يعكس شيئاً من مثاليات الواقع، أو خرابه. مواجهة الفنّ تعبيرٌ غير مباشر عن نقص في مواجهة الكمّ الهائل من الفضائح الكامنة في مهنٍ مختلفة. فلماذا على الفنّ أنْ «يدفع» ثمن أخطاء وهفوات وخلل في المهن، وفسادٍ في مهنيين ومهنيات، يعجزون عن «ترتيب البيت من داخله» لأسبابٍ جمّة، بعضها مرتبطٌ بهم؟

> الإساءة واقعية وليست من خيال يستلّ حكاياته من الواقع

«الأفوكاتو» عادل إمام: فَضْحُ بعض المهنة لا الإساءة إليها (ريع مغربي/فرانس برس)

أفلام جديدة

■ Tom And Jerry 2021 لتيم ستوري، مع كلوي غرايس موريتز (الصورة) ومايكل بينا: لم يعد للثنائي الأشهر في عالم سينما التحريك، الهرّ توم والفأر جيري، منزلاً يُقيمان فيه، فيلجآن إلى فندق في نيويورك، حيث عثرت كايلا على وظيفة. لكنْ، كي تحتفظ بوظيفتها هذه، عليها أنْ تطرد جيري في مهلةٍ قصيرة، فهناك تحضيرات مكثّفة لإقامة زفاف في الفندق نفسه.

■ Space Jam: A New Legacy لمالكولم دي. لي، تمثيل لوبرون جيمس ودون شيدل وزِنْدايا (الصورة): أثناء رحلة إلى استديو «وارنر إخوان»، يجد نجم NBA الأميركية، لوبرون جيمس، نفسه عالقاً مع ابنه الذي يرافقه في هذا الحيّز الضخم، حيث كلّ شيء متعلّق به مصنوع بحسب «وارنر إخوان»: قصصه وشخصياته المفضّلة، وأمور كثيرة وأناس مختلفين.

■ The Last Duel لريدلي سكوت، تمثيل جودي كومر (الصورة): مبارزة قضائية عام 1386 بين الفارس جان دو كاروج وقيِّم الإسطبل الملكي جاك لوغري، الذي اتّهمه الأول باغتصاب زوجته. أما «جائزة» المبارزة، فتتمثّل بحرق زوجة كاروج وهي حيّة، في حال فاز لوغري بها. سبب ذلك؟ أنّها كانت كاذبة.

«متمرّدات» على منصّة «أفلامنا»

بيروت ـ **العربي الجديد**

تستمرّ «جمعية بيروت دي سي» في تحقيق أحد نشاطاتها، الذي بدأ قبل أشهر عدّة، مع قرارات الإغلاق الأولى، التي أصدرتها الحكومة اللبنانية، في محاولةٍ للحدّ من تفشّي وباء كورونا. فالجمعية، المعنية بالسينما العربية المستقلّة، أطلقت منصّة «أفلامنا»، لعرض أفلامٍ عربيّة مجّاناً، رغبةً منها في منح المهتمّين، المنعزلين في منازلهم أياماً طويلة، فرصة مُشاهدة، أو إعادة مُشاهدة عناوين سينمائية عربية، ساهمت في إشاعة مناخٍ مختلف للتناول البصريّ لمسائل وشخصيات وحالاتٍ، ولسرد حكاياتٍ مستلّة من وقائع يومية.

بحسب بيان المنصّة، تودّ «جمعية متروبوليس سينما»، بمناسبة إطلاق «قاعدة البيانات الرقمية» في «سينماتيك بيروت»، تكريم «التمرّد الذي لعبته النساء في كتابة تاريخ السينما في لبنان». فالقاعدة لا تهدف إلى «إنشاء فيلموغرافيا للإنتاج السينمائي اللبناني» فحسب، بل تقترح طرقاً متنوّعة وجديدة «لقراءة هذه الفيلموغرافيا، والولوج اليها». وصانعات الأفلام اللبنانيات، والممثلات اللواتي صورنهنّ، «يملأن تاريخ السينما اللبنانية، ويكشفن كيف أنّ الأنثويّ متعدّد، ويُسلّطن الضوء على قدرتهنّ على التشويش».

بدأ عرض النتاجات المختلفة بعنوان «متمرّدات»، في برنامج جديد لـ«أفلام أونلاين»، في مايو/ أيار 2021، على منصّة «أفلامنا»، يتضمّن فيلماً للجزائري فاروق بلوفة، بعنوان «نهلة» (1979)، مُصوّر في بيروت مع ممثلين لبنانيين، كروجيه عساف وياسمين خلاط وفايق حميصي وزياد الرحباني (يُعرض بين 17 و23/ 5)، بالإضافة إلى 3 أفلامٍ للبنانيّات: «غزل البنات. حياة معلّقة» (1985) و«في كواليس تصوير نهلة» (1979) لجوسلين صعب (الأول من 10 إلى 16/ 5، والثاني من 17 إلى 23/ 5)، و«سهى، النجاة من الجحيم» (2001) للّبنانية رندة الشهّال صباغ (من 24 إلى 5/31). هذه الأفلام مُصوّرة بين أواخر سبعينيات القرن الـ20 ومطلع الـ21، «مصنوعة كلّها عندما كانت السينما اللبنانية تخترع نفسها، بحثاً عن اللغات السينمائية الممكنة لتفسير التصدّعات، التي تسبّبت بها الحرب الأهلية (1975 . 1990) وتداعياتها»، كما في البيان نفسه. و«الإيماءات السينمائية للمخرجات خلف الكاميرا وأمامها أدّت الى تكوير الأشكال النمطية لما يعنيه أنْ تكون امرأة، تعيش وتعمل وتحبّ في الشرق الأوسط».